بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة 12-8-2011م الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

((الخصائص الكبرى لحقوق الإنسان في الإسلام))

الحمد لله.. الحمد لله ثم الحمد لله..

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبيٍّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله.

أرسله ربنا بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كلّه، ولو كَرِه الكافرون، ولو كَره المشركون، ولو كَره مَن كَرِه، اللهم صلّ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد.. فيا عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعته وأستفتح بالذي هو خير :

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85].

وقال سبحانه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9]

وقال جل من قائل: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: 11]

قال صلى الله عليه وسلم: ((من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سَلَك الله به طريقاً من طرق الجنة)) [أبو داود والترمذي]

وروى ابن عبد البر عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:**

((لأن تغدو فتتعلم باباً من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة)).

عنوان خطبة اليوم:

(الخصائص الكبرى لحقوق الإنسان في الإسلام)

أيها الإخوة:

هذا تقرير عن كتاب ثامن يتحدث في السياسة الشرعية التي هي القسم الخامس من أقسام الفقه الإسلامي.

عنوان الكتاب: (الخصائص الكبرى لحقوق الإنسان في الإسلام)

اسم المؤلف: الدكتور وهبة الزحيلي، رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه بكلية الشريعة في جامعة دمشق.

طبعت الكتاب دار المكتبي بدمشق سنة 1995، وجاء في خمس وأربعين صحيفة تحدث المؤلف فيها عن الخصائص الكبرى لحقوق الإنسان في الإسلام وعن دعائم الديمقراطية الإسلامية.

وفي كلامه عن الخصائص الكبرى لحقوق الإنسان في الإسلام تحدث عن تاريخ حقوق الإنسان وعن أساس حقوق الإنسان وعن دور الإيمان في هذه الحقوق وعن خصائص حقوق الإنسان في الإسلام وغيره وعن مزاياها في الإسلام، ثم تحدث باختصار عن حق الحياة، وحق الكرامة الإنسانية، وحق الحرية، وحق العدل، وحق المساواة.

وها أنا أقرأ عليكم شيئاً مما جاء في الكتاب:

يقول المؤلف: (مرّت البشرية عبر التاريخ بمآسٍ عميقة وبلايا كثيرة ومظالم متنوعة، منشؤها الأطماع، أو حب التسلط والنفوذ، أو الظلم الفردي والاجتماعي، وكانت أداة الظلم إما الدولة أو الأفراد، وأدى ذلك لنشوب حروب مدمرة أو فتن داخلية عمياء أو نكبات شديدة تعرض لها بعض الأفراد أو الجماعات...

وتنفس الناس الصعداء حين صدر البيان الفرنسي لحقوق الإنسان سنة 1789 ، ثم أعلن المجتمع الدولي ميثاق حقوق الإنسان سنة 1948 بعد ويلات الحربين العالميتين، وفي أواخر القرن الماضي ظهر في العالم العربي ثلاثة مشروعات لحقوق الإنسان؛ واحد منها قدّمته سوريا لمنظمة المؤتمر الإسلامي لعرضه على مؤتمر القمة الإسلامي...

وعلى الرغم من تعدد هذه المواثيق والابتهاج بها.. ظل الأقوياء يعتدون، وعانى الضعفاء –والإنسان في دولته– كل ألوان الظلم والقهر والاستعباد، وامتهان الكرامة الإنسانية، والتعرض لمختلف وأشنع وأقسى وأحط صنوف العذاب والتنكيل، لمجرد معارضة نظام الحكم، أو إعلان رأي، أو نشر مقال، وظل كَمُّ الأفواه ومصادرة ألوان الحريات هو السمة الغالبة في أنحاء العالم والعالم العربي أيضاً؛ لأن الحرية هي أغلى شيء في الوجود بعد الإيمان، وهي مصب أنواع حقوق الإنسان).

وأرجع الدكتور الزحيلي أساس حقوق الإنسان في الدساتير والمواثيق العالمية إلى مذهبين إلى أمرين اثنين؛ الأول يعتبر العدل أساس حقوق الإنسان، والثاني يعتبر الحرية هي الأساس، ثم ذكر أن تكريم الله للإنسان هو أساس حقوق الإنسان في الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:70]

وعندما تكلم عن حق الكرامة قال:

(يتطلب حق الحياة حماية الكرامة الإنسانية؛ لأن الكرامة تمثل عزة النفس والإحساس المعنوي بالحياة بعد الإحساس المادي بالوجود دون تمييز بين أمير وسوقة، ولا بين حاكم ومحكوم؛ لذا أمر عمر -رضي الله عنه- بالقصاص لأعرابي من جَبَلَة بن الأيهم الأمير الغسّاني، وبالقصاص لذميّ من ابن عمرو بن العاص.

وليقارن كل إنسان هذا مع حضارة القرن العشرين، وما فيها من تعذيب وتشويه وتمثيل كالقرون البدائية، ويتمثل ذلك في معسكرات الاعتقال، وويلات السجون، وفظائع التنكيل في البلاد المختلفة).

وأحب هنا أن أنقل لكم قصة جبلة بن الأيهم مع سيدنا عمر -رضي الله عنه- والرجل الفزاري لتروا كيف رعى الإسلام كرامة الإنسان وحماها، على حين هدرت الأنظمة الوضعية هذه الكرامة في كل مناسبة رأت فيها هدرها يوطد لها البقاء والاستمرار.

بدا للأمير الغساني جَبَلَة بن الأيهم أن يدخل الإسلام هو وذووه، وكتب إلى الفاروق يستأذنه في القدوم إلى المدينة، ففرح عمر -رضي الله عنه- بإسلامه وقدومه، فجاء إلى المدينة وأقام بها زمناً والفاروق يرعاه ويرحّب به، ثم بدا له أن يخرج إلى الحج، وفي أثناء طوافه بالبيت الحرام وطئ إزاره رجل من بني فزارة فحلَّه، وغضب الأمير الغساني لذلك - وهو حديث عهد بالإسلام - فلطمه لطمة قاسية هشمت أنفه، وأسرع الفزاري إلى أمير المؤمنين يشكو إليه ماحلّ به وأرسل الفاروق إلى جبلة يدعوه إليه، ثم سأله فأقرّ بما حدث فقال له عمر: ماذا دعاك يا جبلة لأن تظلم أخاك هذا فتهشم أنفه؟

فأجاب بأنه قد ترفق كثيراً بهذا البدوي، (وأنه لولا حرمة البيت الحرام لأخذتُ الذي فيه عيناه).

فقال له عمر: لقد أقررت، فإما أن ترضي الرجل وإما أن اقتصّ له منك.

وزادت دهشة جبلة بن الأيهم لكل هذا الذي يجري وقال: وكيف ذلك وهو سوقة وأنا ملك؟

فقال عمر: إن الإسلام قد سوّى بينكما.

فقال الأمير الغساني: لقد ظننت يا أمير المؤمنين أن أكون في الإسلام أعزّ مني في الجاهلية.

فقال الفاروق: دَعْ عنك هذا، فإنك إن لم ترضِ الرجل اقتصصت له منك.

فقال جبلة: إذاً أَتَنَصّر.

فقال عمر: إن تَنَصّرت ضربتُ عنقك، لأنّك أسلمتَ، فإن ارتددت قتلْتُك، فاستمهل جبلة سيدنا عمر ليلة حتى يبرم أمره، وكان أن هرب في تلك الليلة إلى القسطنطينية وارتدّ عن الإسلام.

ولقد أحسن الشاعر السوري سليمان العيسى لما نظم هذه القصة في قصيدة عمودية عنونها (الإزار الجريح) قال:

عُمر: يا ابنَ أيهَمْ! ليسَ في قبضَتِنا إلاَّ سِلاحْ...، في يمينِ الله لامعٌ حَدَّاهْ، اسمُهُ الحَقُّ الصُّراحْ..

وهوَ -لو تعلَم- أمضَى... من سيوفِ الأرضِ، من صَولَتِها، طُولاً وعَرضا

قدْ حَملناهُ رسالَهْ وسَلَلناه عدالَهْ

فذَوُو التَّاجِ، وأَبناءُ السَّبيلْ... تحتَ هذي الدوَّحَةِ السَّمحاءِ أَكفَاءٌ، سَواءٌ في المِقيلْ

يا ابنَ أيهَمْ! جاءَني هذا الصَّباحْ، مشهَدٌ يبعَثُ في النَّفسِ المرارَهْ... بَدَويٌ مِنْ فَزارَهْ

بدِماءٍ تتظلَّمْ... بجراحْ تتكَلَّمْ... مُقلَة غارَتْ، وأَنفٌ قد تَهَشَّمْ

وسألناهُ، فأَلقى فادِحَ الوِزْرِ عليكْ، بيديكْ...

قالَ: قدْ أشبعتَهُ ضرباً وقَصفا... بيديكْ، في فناءِ البيتِ قد هشَّمته وجهاً وأنفاَ

أصحيحْ يا بن أيهَمْ؟ أَصحيحْ ما ادَّعَى هذا الفَزَارِيُّ الجَريحْ؟!

جَبَلَة: لستُ مَنْ ينكِرُ أوْ يكتُمُ شيَّـا... أنا أدَّبتُ الفتى، أدْركتُ حقِّي بيدَيَّا

عُمر: أيُّ حقٍّ، يا ابنَ أيهَم؟...عندَ غيري يُقهَرُ المُستضعَفُ العافي ويُظلمْ... عند غيري جبهةٌ بالإثمِ، بالباطلِ، تُلطَم.

نزَوَاتُ الجاهليَّةْ...، ورِياحُ العُنجُهِيَّةْ... قد دَفنَّاها، أقَمنا فوقها صَرحاً جديدا...، وتساوَى النَّاسُ أحراراً لَدَينا وعَبيدا

يأخُذُ الحقَّ القَضاءْ... وهوَ – لا أنتَ– الذي يُنفِذُ عندي ما يشاءْ.

جَبلَة: يا أميرَ المؤمنينْ...أفتُصغي، فأُبينْ؟

كنتُ بالبَيتِ أطوفْ... والمُلبُّونَ رُفوفْ.. بَغتَةً.. ديسَ إزاري... داسَهُ هذا الفَزاري كِدْتُ في الكعبةِ أَعرى...كانَ نُكراً ما أتاهُ كانَ نُكرا... عامداً بيَّتَ لي، للناسِ، للمَوسِمِ شرًّا قَسماً، لو أنَّنا في غيرِ بيتِ الله، في غيرِ الحرمْ... لستُ مِمَّنْ حنثُوا يوماً بِعَهدٍ، بِقسَم..لتَوارى بينَ عَينيهِ حُسامي...كفاني نَصلُه المُرهفُ تشقيقَ الكلامِ

الفَزاري: ما تَعمَّدْتُ –ورَبِّ البيتِ– مِمَّا قالَ شيًّا... هفوَةً كانتْ، وشيئاً طارئاً فوقَ يديَّا يا أميرَ المؤمنينْ أنا بالفاروقِ بالعدْلِ، عليهِ أستعينْ

عُمــر: أَقــرَرْتَ، يابْنَ الأَيهَمِ، أَقــرَرْتَ لم تتَحــرَّجِ ... الحقُّ بادٍ كالمِنــارَةِ، كالصَّــباحِ الأبلَجِ سَيرُدُّ للمُتَظلِّمِ ما جاءَ ينشدُهُ عُمَرْ... هيهاتَ نَسكُتُ عنْ أذى، هيهاتَ نُغضي عنْ ضَرَرْ

أَرْضِ الفتى، لابُدَّ منْ إرضائِهِ... ما زالَ ظُفرُكَ عالقاً بدمائِه أوْ يُهشَمَنَّ الآن أنفُــكْ... وتنالَ ما فعَلَتْهُ كَفُّكْ

جَبلَة: كيفَ ذاكْ يا أميرَ المؤمنينْ كيفَ ذاكْ؟ وهوَ سُوقَهْ، وأنا صاحبُ تاجْ كيفَ أرضَى؟ أنْ يَخِرَّ النَّجمُ أرضَا،كيفَ ذاكْ هوَ سُوقَهْ، وأنا: عَرْشٌ وتاجْ

عُمَر: نزَواتُ الجاهليهْ، ورياحُ العُنجُهِيَّهْ، دَعكَ من هذا، وجنِّبني اللَّجاجْ.. والجَهالَهْ!

أنتُما ندَّانِ في ظلِّ الرِّسالهْ...سأُقيِدُهْ منكَ، أو تُرضيَه، أَبرَمتُ رأيي، سأُقيِدُهْ!

يا ابنَ أيهَمْ! لستَ خيراً من أحد... في البَلَدْ. بالتُّقَى صالحاتٍ باقياتٍ أوْرَقا تفضُلُ الناسَ لدينا بالعملْ...، نَفَلٌ ما تدَّعِي...محضُ نَفَلْ...، وضَلالٌ، وخَطَلْ

أرضِهِ.. أو تذهبَا: أنفٌ بأنفِ...قبلَ أنْ آخُذَ هذا الحقَّ، لن يُغمَضَ طرْفي

جَبلَة: كانَ وَهْماً ما مَشَى في خَلَدي...أنَّني عندَكَ أقوى وأَعَزُّ، أنا مُرتَدٌّ.. إذا أكرهتَني

عُمَر: عُنُقُ المرتدِّ بالسَّيفِ تُحَزُّ...عالَمَ نَبنيهْ...وأَعَزُّ الناسِ فيه بالصُّعلوكِ، بالعَبدِ، تسَاوَى لا تُمَارِ عُدْ إلى الحقِّ وضيئاً كالنَّهارِ

ما حَمَلنا الدِّينَ زِينَهْ، ولِباساً في المدينَهْ، حيثما شئنا.. خَلَعنا..ورَجعنا..

يا ابنَ أيهمْ!سوفَ تَدْري كيفَ نقتَصُّ، نُجازي المُعتدِي ضُراً بضُرّ،لا تُداوِرْ! إنَّني أبرمتُ أمري

الكَرَامةْ... فوق قُرطيكَ الغَريبينِ، وتاجِكْ ومِزَاجِكْ.. بَشَرٌ مثلُكَ مَنْ عَفَّرْتهُ، روحاً وهامَهْ تحتَ أقدام انزعاجِكْ... تحتَ مجنونِ هياجِكْ

لا تُمَارِ! عُد إلى الحقِّ مضيئاً كالنَّهارِ

جَبلَة: أتُمهِلُني ليلَتي هذهِ أُقلِّبُ رأيي؟ لعَلَّ الطَّريقْ...يُضيءُ لعيني، لعينَيْ صَدِيقْ!

عُمَر: إليكَ سُؤالَكَ.. اطوِ الدُّجَى...وجِئني غَدا...سُقُوطَ النَّدى، ودَعني على ما انتَهيتُمْ أُفيقْ!

وهنا يخرج جبلة وينتهي به الرأي أن يغادر المدينة فارًّا من قصاص عمر للكرامة الإنسانية.

أيها الإخوة:

إذا أُهدِرَت كرامة الإنسان ودِيست عزّته وأُذِلّت نفسه فهو لا يملك إلا أن ينفجر في وجه من سلبه أساس حقوقه الإنسانية...، تكريمَ الله تعالى له: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء:70]

هذا تقرير سمَح به الوقت للتعريف بواحد من كتب الفقه السياسي في الإسلام؛ كتاب: الخصائص الكبرى لحقوق الإنسان في الإسلام، للدكتور وهبة الزحيلي.

عسى الله أن ينفعنا بما سمعنا جميعاً.

والحمد لله رب العالمين